

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[165] وهو القيام من القبور إلى الحشر، والأعجب من ذلك أن البعض أخذ هذه الآية دليلاً على أن حشر يوم القيامة يقع في أرض الشام التي أُبعد اليهود إليها، وهذه الاحتمالات الضعيفة ربّما كان منشؤها من وجود كلمة "الحشر"، في حين أن هذه الكلمة لم تكن تستعمل هذا بمعنى الحشر في القيامة، بل تطلق على كل اجتماع وخروج إلى ميدان ما، قال تعالى: (وحشر لسليمان جنود من الجن والإنس والطير) (1). وكذلك ما ورد في الاجتماع العظيم لمشاهدة المحاجة التي خاضها موسى (عليه السلام) مع سحرة فرعون حيث يقول سبحانه: (وأن يحشر الناس حشياً) (2). ويضيف الباري عز وجل: (ما طئنتم أن يخرجوا وطئوا أن نهم ما نعتهم حصونهم من) لقد كانوا مغرورين وراضين عن أنفسهم إلى حد أنهم اعتمدوا على حصونهم المنيعة، وقدرتهم الماديّة الظاهرية. إن التعبير الذي ورد في الآية يوضّح لنا أن يهود بني النضير كانوا يتمتّعون بإمكانات واسعة وتجهيزات وعدد كثيرة في المدينة، بحيث أنهم لم يصدّقوا أنهم سيغلبون بهذه السهولة، وذلك ظنّ الآخرين أيضاً. ولأنّ اّ سبحانه يريد أن يوضّح للجميع أن لا قوّة في الوجود تقاوم إرادته، فإنّ إخراج اليهود من أراضيهم وديارهم بدون حرب، هو دليل على قدرته سبحانه، وتحدّ لليهود الذين طئوا أن حصونهم ما نعتهم من اّ. ولذلك يضيف - إستمراراً للبحث الذي ورد في الآية - قوله تعالى: (فأتاهم اّ من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين) نعم، إنّ هذا الجيش غير المرئي هو جيش الخوف الذي يرسله اّ تعالى في كثير من الحروب لمساعدة المؤمنين، وقد خيّم على قلوبهم، وسلب منهم قدرة

1 - النمل، الآية 17. 2 - سورة طه، الآية 59.